خصائص البينة القرآنية

د/ سلطان زايد ملاطف

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم علوم القرآن

كلية التربية والألسن – جامعة عمران

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تحديد مفهوم البينة وإعجازها والفرق بينها وبين المعجزة وخصائص البينة الكبرى ، ومقارنتها بخصائص معجزات الأنبياء والبينات الأخرى ومناسبتها لحالات الناس المختلفة ، ثم بيان كون القرآن بينة (معجزة) علميه ، أساسها العلم الإلهي ، ثم بين وجوه إعجاز البينة القرآنية التي تُعبرُ عن أنها بينة علمية كبرى بامتياز ، تناسب حالات الناس كافة ، وتقام بها الحجة على الخلق أجمعين ، في كل زمان ومكان ، وفي كل جيل وعصر ، ويدرك إعجازها أصحاب كل لسان ، وكيف أنها تخاطب مدارك الناس المختلفة ويرى أهل كل علم فيها ما يكفي ليَبِيْنَ لهم إعجازها وأن هذا القرآن من عند الله تعالى ، أوحاه إلى رسوله محمد وشهد له به بأنه رسول من عنده وأن هذا القرآن منزل من لدن حكيم خبير ، كما بينها الله في كتابه فقال: ﴿ لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً ﴾ [النساء:١٦٦].

11

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد ..

فإن بيان "خصائص البينة القرآنية " وهي المعجزة العلمية الكبرى ، التي أيد الله بها نبيه محمدﷺ ، مناسبة لرسالته الخاتمة ، حجة للناس أجمعين ، والتي يظهر إعجازها في كل عصر وفي كل حين ، للأجيال المتعاقبة ، مصداقاً لقول الله تعالى: (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)[1] " ولاسيما في هذا العصر " عصر العلم " الذي سلَّم أهله بمقررات البحث العلمي وبالحجج والبراهين العلمية ، لَمِن أهم ما يجب على الباحثين المتخصصين بيانه وإظهاره للناس لإظهار إعجاز هذا القرآن وحجيته وأنه تنزيل رب العالمين .

أهمية البحث وأسباب اختياره : إن الأهمية التي ينطوي عليها هذا البحث ، تكمن في إظهار أعظم معجزة في تاريخ الإنسانية لأعظم نبي وأعظم أمة ، وذلك ببيان خصائصها ودلائل إعجازها ، التي أرادها الله تعالى حجة على الناس ، وبيان مناسبة هذا الكتاب المبين ، ليكن هادياً للناس على اختلاف السنتهم وأزمانهم وأماكنهم ، وكونه رحمة للعالمين.

وإن من أهم الأسباب التي حفزتني لهذا البحث هو أنه شاع عند كثير من الناس ولاسيما في المؤلفات القديمة في إعجاز القرآن ، أن إعجازه محصور في البيان والفصاحة والبلاغة ، وفوتوا بذلك أساس إعجاز هذا القرآن وشموله ، الذي يرتبط به هداية الناس كافة منذ نزوله وإلى قيام الساعة ، وما كان له ذلك لو اقتصر إعجازه على وجه من وجوه الإعجاز ، ومن أجل دفع هذا الإشكال في هذا الفهم ، وتقرير أن القرآن معجزة علمية بامتياز يخاطب بها الناس كافة في كل زمان ومكان عربهم وعجمهم ، كان هذا البحث " خصائص البينة القرآنية " وهو إثبات أن هذا القرآن بينة علمية بالأدلة النصية.

أهداف البحث:

ومن أجل تحقيق الفائدة والأهمية لهذا لبحث وحل الإشكال المتقدم ، تتحدد أهداف هذا البحث في النقاط التالية :

١. بيان تعريف المعجزة والبينة والفرق بينهما .
٢. بيان خصائص إعجاز البينة الكبرى وانفرادها عن سائر البينات الأخرى ومناسبتها لرسالة خاتم النبيين والمخاطبين بها كافة .
٣. بيان أن أصل إعجاز هذه البينة الكبرى وأساسها هو العلم الإلهي ، وأنها معجزة علمية بامتياز.

([1]) سورة ص الآية (٨٨) .

٤. بيان وجوه هذه المعجزة وأنواع إعجازها ، وأن إعجازها لا يقتصر على وجه منها ، وأن كل وجوه إعجازها أساسه ومبناه هو علم الله تعالى .

منهج البحث ومصادره :

ومن أجل تحقيق أهداف البحث سلكت في تقرير مباحثه المنهج العلمي بأنواعه بحسب ما يقتضيه البحث العلمي فاستخدمت المنهج الاستقرائي في جمع الأدلة واخترت منها ما كانت دلالته واضحة على المراد لكثرة الأدلة كما استخدمت المنهج الوصفي والتحليلي في دراسة الأدلة بحسب أصول التفسير وقواعده ومن ثم استخدمت المنهج الاستنباطي في تقرير النتائج والأحكام ، كما استخدمت المنهج الاستدلالي من الوقائع والأحداث المدونة في السيرة والتاريخ على وجوه إعجاز هذا القرآن.

ومن حيث التوثيق فقد عزوت ما نقلته إلى مصدره التزاماً بالأمانة العلمية ، ونظراً لطول موضوع البحث والحاجة إلى تركيزه وإيجازه ، فقد اقتصدت كثيراً في النقل واعتمدت المنهج السابق في تقرير ما وصلت إليه.وعن مصادر البحث : فالقرآن الكريم أهم المصادر. وكذا السنة النبوية وشروحها . وكتب التفسير وعلوم القرآن . وكتب الإعجاز العلمي.

هيكل البحث :

لقد جعلت هذا البحث من مقدمة وأربعة مباحث :

المبحث الأول : **مفهوم إعجاز البينة العلمية.**

المبحث الثاني : خصائص إعجاز البينة القرآنية ومناسبتها لحالات الناس

المبحث الثالث : العلم الإلهي أساس إعجاز البينة القرآنية

المبحث الرابع : وجوه إعجاز البينة القرآنية

مصادر ومراجع البحث:

المبحث الأول

مفهوم إعجاز البينة العلمية

تعريف البينة :

البينة لغة : هي : " دلالة واضحة عقلية كانت أو محسوسة ؛ والجمع بينات، وفى المحصول البينة الحجة الواضحة[١] ؛ والبينة ما بان به الحق[٢] ؛ ومعنى البينة: البرهان العقلي والأمر الجلي[٣].

جاء في التعاريف:" البينة : الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية ومنه سميت شهادة الشاهدين بينة؛ وقال الحرالي: البينة من القول والكون: ما لا ينازعه منازع لوضوحه وقال بعضهم: البينة: الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة؛ وقال بعضهم: البينة ما ظهر برهانه في الطبع والعلم والعقل بحيث لا مندوحة عن شهود وجوده "[٤].

والبينات: جمع بينة صفة من بان يبين فهو بين والأنثى بينة أي واضحة وهو صفة لمحذوف أي الدلالة البينة أو العلامة فإذا قيل له بينة أي علامة واضحة على صدقه "[٥].

تعريف البينة اصطلاحاً: هي الحجة الواضحة والدلالة القاطعة حسية أو عقلية ، يؤيد الله بها رسوله تصديقاً له في دعواه ؛ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[٦]. يعني: بالآيات الواضحة والحجج البيِّنة على حقيقة ما أرسلوا به إليهم، وصحة ما دعوهم إليه من الإيمان بهم، وأداء فرائضِ الله عليهم[٧].

والإعجاز : مصدر الفعل أعجز وهو بمعنى الفوت والسبق ، وهو مشتق من العجز ، والعجز الضعف، أو عدم القدرة [٨].

وإعجاز القرآن: يقصد به إعجاز القرآن للناس، أن يأتوا بمثله، أي نسبة العجز إلي الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله[٩] .

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٧٩٨٤) . محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (٢/ ١٠٠) لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، دار النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل،(٢/ ١٠٢.١٠٣) لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار النشر: دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف ج١/ص١٥٤ محمد عبد الرؤوف المناوي دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ تحقيق : د. محمد رضوان الداية

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ج١/ص١٥٤

(٦) سورة الحديد الآية (٢٥) .

(٧) جامع البيان في تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [٢٢٤ - ٣١٠ هـ المحقق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (٥/ ٣٧٠) .

(٨) أنظر لسان العرب لان منظور مادة عجز (٥/ ٣٧٠) .

(٩) تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن السنة (١٤) للشيخ / عبد المجيد بن عزيز الزنداني

والمعجزة: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة [1] يؤيد الله بها النبي أو الرسول تصديقاً له له في دعواه، وبيان ذلك : أن هذه المعجزة ليس لبشرٍ إمكان الإتيان بمثلها لأنها خارجة عن حدود طاقتهم وقدرتهم ، والرسول في ذلك كسائر البشر ، فإذا ما جاء بها الرسول مدعياً أنه رسول من عند الله وأن الله تعالى أيده بها ليصدقه الناس ، وقد ثبت عجز البشر عن الإتيان بها أو بمثلها والرسول مثلهم في العجز ، فلم يبق إلا أن تكون من عند إله قادر تفوق قدرته البشر ، أيد بها بها هذا الرسول تأييداً وتصديقاً له في أنه مرسل من عنده ، فبالمعجزة حصل الاستدلال بقدرة الله على الإيمان به من وجه ، وعلى صدق هذا الرسول وصحة رسالته من وجه آخر .

والعلمية : صفة مأخوذة من العلم : وهو إدراك الأشياء على حقائقها ، والمقصود بها الحقائق العلمية التي كشف عنها بمناهج البحث العلمي النظرية والتجريبية والتطبيقية .

الفرق بين البينة والمعجزة :

لم يرد تسمية البينة بالمعجزة أو مشتقاتها في القرآن الكريم؛ وإنما وردت في سياق آخر بمعنى عدم القدرة، أو ليسوا بمنأى عن قدرة الله وعقابه ؛ كقوله تعالى :﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ الأنعام (١٣٤) ، وقوله تعالى:﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴾ الأنفال الآية (٥٩) ، وقوله تعالى :﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ﴾ التوبة الآية (٢) ، وقوله تعالى :﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ العنكبوت الآية (٢٢) ، وقوله تعالى :﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ فاطر الآية (٤٤) وقوله تعالى :﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ هود الآية (٣٣) ، فهذه الآيات وغيرها كثير لم يأت الإعجاز فيها بمعنى البينة أو المعجزة، وإنما بامتناع قدرتهم عن إرادة الله عز وجل

ولكن وردت ألفاظ تدل على معنى الإعجاز، أي تقرير العجز في سياق التحدي بالبينة وذلك في قوله تعالى : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ الإسراء الآية (٨٨) ، وقوله تعالى :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ البقرة الآية (٢٣،٢٤) وقوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود الآية (١٣) ، وقوله تعالى :﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ يونس الآية (٣٨) ، والمعنى هنا بمعنى العجز وهو عدم القدرة ، أي عجزوا عن الإتيان بمثل هذه البينة ، فعرفنا بهذا أن البينات التي أيد الله بها الرسل تقتضي الإعجاز وتتضمنه وعلى رأسها بينة

(١) أنظر تفسير القرطبي (٩/١) المسمى " الجامع لأحكام القرآن " لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، عدد الأجزاء (٢٠) ، دار النشر : دار الشعب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، أسم المحقق : أحمد عبد العليم البردوني .

الرسول الخاتم ﷺ وهي أكبر بينة معجزة حصلت للبشرية ؛ وإنما اصطلح القرآن على تسمية المعجزة بالبينة؛ لأن القصد منها بيان أن هذا رسول من عند الله وهو صادق في دعواه ، وإنما تسمى البينة معجزة مجازاً ؛ لتضمنها الإعجاز أي نسبة العجز إلى البشر عن الإتيان بمثلها ، فالإعجاز هو ذات المعنى الذي جعلها بينة ، ولهذا سميت معجزة ، والإعجاز وسيلة والبيان غاية فاطلق القرآن مصطلح البينة تغليباً للغاية منها ، ثم إن البينة أعم من المعجزة من وجه ؛ فبينات الرسول ﷺ ليست كلها معجزات له ، كالبشارات السابقة به ﷺ ، وإن كانت تعد من معجزات النبي الذي بشر به ، فالبشارات السابقة بينات له كما في الآية ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾(١)؛" ، فقد عُرِّفَ لفظ البينة ، للإشارة إلى وجود علم عنها مسبق عليها ؛ فكأنه قيل: حتى تأتيهم البينة الموصوفة لهم في كتبهم، ويشير إليها ما ورد في أخبار عيسى عليه السلام عنه ﷺ، وما جاء في آخر سورة الفتح في صفته وأصحابه: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التوراة وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ...الآية ﴾(٢)"(٣) . وورود ذكر اسمه ﷺ في التوراة والإنجيل كما قال الله تعالى : {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ }الأعراف١٥٧ ، وقوله : ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾ الشعراء١٩٦، فمن هذا الوجه تشمل البينة معنى أوسع ، فكل معجزة بينة وليس كل بينة معجزة ، وكذلك فإن مصطلح البينة لا يقتصر إطلاقه على معجزات الأنبياء وإنما يطلق على كل حجة تظهر الحق على الباطل ويعرف بها الصواب من الخطأ، وقد اصطلح القرآن على تسمية " المعجزة " بالبينة، والآية، والحجة، والبرهان ، والسلطان"، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾(٤) ، وقال تعالى: ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾(٥) ، وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾(٦)، وقال تعالى :﴿ قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٧) وقال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } هود٩٦ وقال :{ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } إبراهيم١١.

---

(١) سورة البينة الآية (١) .

(٢) سورة الفتح الآية: (٢٩) .

(٣) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،(٩/ ٢٥٧) لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي. ، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

(٤) سورة الحديد الآية (٢٥) .

(٥) سورة البقرة الآية (211) .

(٦) سورة النساء١١الآية (١٧٤) .

(٧) سورة الأنعام الآية (١٤٩) .

المبحث الثاني

خصائص البينة العلمية ومناسبها للرسالة الخاتمة

البينات أساس رسالات الأنبياء:

إن البينة هي أهم شيء في باب النبوات، فبها تقام الحجة على الناس ويتبين النبي المرسل من الدعي الكذاب، وما كان للمشركين والكافرين أن ينفكوا عن كفرهم إلى الإيمان إلا بالبينة الواضحة والحجة القاطعة والبرهان الساطع، قال تعالى :﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ البينة الآية (١)﴾.

أنواع البينات (المعجزات) ومناسبتها لحالات الناس:

النوع الأول : البينات الحسية (المعجزات المادية) : أي تدرك بالحواس ، وهي بينات بسيطة لا تحتاج إلى تفكير عقلي فبمجرد إدراكها يدرك العقل أنها خارقة للعادة ، وبعجزهم عن مجاراتها عند تحديهم بها يدرك أنها معجزة .

مناسبتها لحالات الناس: لما كان الرسل قبل محمد . ﷺ . يبعثون إلى أقوامهم خاصة ولأزمنة محدودة فقد أيدهم الله بمعجزات (بينات) حسية مادية ، تتناسب مع مستوى النضوج البشري الذي وصلوا إليه . عقلياً وعلمياً . وتتناسب كذلك مع حدود رسالاتهم الجغرافية والزمانية .

ولهذا جاءت هذه المعجزات بخصائص تتناسب مع حدودها زماناً ومكاناً ودلالةً ، لأن المراد من هذه المعجزة : هي إثبات أن هذا الرسول مرسل من عند الله حقاً .

وهذا النوع من المعجزات متصلة بشخص النبيِّ لا تنفصل عنه ولا تعمل إلا له فإذا مات ذهبت معجزته معه ، فلا يرثها أتباعه ولا تبقى لقومه من بعده . كعصا موسى وناقة صالح ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى وكانشقاق القمر لمحمدٍ . صلى الله وسلم عليهم أجمعين . ونحو ذلك فلا يستطيع اليهود أن يأتوا بعصى موسى فيفلقوا بها البحر أو يضربوا بها الحجر فينبجس منها الماء أو تتحول في أيديهم إلى حية حقيقية تسعى ، وكذلك لا يستطيع النصارى وهم أتباع المسيح عيسى أن يبرءا الأكمه والأبرص أو يحيوا الموتى ولو حاول ذلك أكبر حواري عيسى عليه السلام ، وكذلك لا يستطيع أحدٌ من أتباع صالح أن يخرج من الصخرة ناقة كالتي حدثت لصالح . فكل معجزة من هذه المعجزات خاصة بالرسول المؤيد بها لا تنتقل إلى غيره إلا بإذن الله .

❖ ثم إن هذه المعجزات منها ما يبقى مع النبيّ يستخدمها متى ما أرادها مدة حياته ، كعصا موسى ، وطب عيسى عليهما السلام . ومنها ما لا يلزم تكرارها ولا أن تبقى مع الرسول طيلة حياته ، بل يكفي أن تحدث مرةً واحدةً فقط وتكون بذلك بينة ظاهرة ومعجزة قاهرة ، وغالباً ما يكون هذا النوع من المعجزات المؤقتة زماناً

ومكاناً وحالاً تأييداً من الله لرسوله استجابة منه لدمغ اقتراحات الكافرين وإقامة للحجة عليهم رجاء أن يؤمنوا أو دمغاً لشبهة أثاروها أو طلباً طلبوه كناقة صالح ، وانشقاق القمر لمحمدٍ . عليهم الصلاة والسلام . أو دفاعاً عنهم وإنجاء لهم من كيد الكافرين كإنجاء الله لخليله إبراهيم من النار دون أن تمسه بسوء ، وكانفلاق البحر لموسى مع قومه وغرق فرعون وجنوده ، فهذه معجزات موقوتة لها أسباب عارضة وهي كذلك تدل على رسالة الرسول وأنه مؤيد من عند الله تعالى .

- ولما كان هذا النوع من المعجزات مرتبطة بشخص الرسول لزم أن تكون معجزته غير رسالته ، ذلك أن رسالته قد تبقى بعد مماته ويحملها أتباعه من بعده ، وإنما شأن المعجزة أن تأتي لإثبات صحة الرسالة التي أُمر الرسول بتبليغها ، فإذا قررت ذلك تحقق مقصودها ، فالرسالة شيء والمعجزة شيء آخر . فهي منفصلة عن الرسالة مستقلة عنها فعصا موسى غير توراته ، وطب عيسى غير إنجيله .

ومن هنا كانت هذه المعجزات مقيدة بحدود الزمان والمكان والدلالة والأفراد لا تقوم بها الحجة إلا على من رآها أو نقلت إليه تواتراً ، فلو لم يأتِ ذكرها في القرآن أو في السنة الصحيحة لما حصل العلم القطعي الجازم بصحتها وثبوتها ، ونحن إنما آمنا بهذه المعجزات وحصل لنا العلم القطعي بثبوتها لورودها في القرآن والسنة الصحيحة ، وقد علمنا أن القرآن نقل إلينا بالتواتر وكذلك السنة الصحيحة التي نقلها الثقات فآمنا بها من هذا الوجه ولولا ذلك لما حصل لنا هذا العلم القطعي الجازم بصحتها فهي بهذا الاعتبار جزء من القرآن والسنة وإيماننا بالقرآن يقتضي الإيمان بها كونها جزء منه وكذلك السنة الصحيحة .

ومن هنا فلا تكفي هذه المعجزات لأن تكون حجة قاطعة لإيمان البشرية على مدى العصور وتعاقب الأجيال لحدود دلالتها زماناً ومكاناً .

النوع الثاني : البينة العلمية (المعجزة العقلية) : وهي التي تدرك بالعقل ، ولا يتوقف إدراكها على مجرد الحواس ، وتحتاج إلى نظر وتدبر وتفكر للوقوف على إعجازها .

أهم الفوارق بين المعجزات الحسية وخصائص البينة العلمية:

١. المعجزة الحسية : مقيدة بحدود الزمان والمكان لرسالة الرسول ، فهي معجزة مؤقتة من ناحية الزمن ، مقيد من ناحية المكان والقوم . بينما المعجزة العلمية غير مقيدة بمكان ولا مؤقتة بزمان فهي صالحة لكل زمان ومكان في جميع الظروف والأحوال ، منذ نزولها إلى قيام الساعة .

٢. المعجزة الحسية : مرتبطة بشخصية الرسول ، ترفع بعد مماته ولا يتوارثها أتباعه من بعده . بينما المعجزة العلمية : غير مرتبطة بشخص الرسول ، فهي باقية بين يدي الناس ، في حياته وبعد مماته إلى قيام الساعة .

٣. المعجزة الحسية : تأتي غير الرسالة ، فالرسالة شيء ، والمعجزة شيء أخر . بينما المعجزة العلمية ، هي نفس الرسالة . فالقرآن الكريم هو المعجزة وهو الرسالة ، كما قال الله تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن

رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ } هود١٧ ، أي ويتبع القرآن شاهد منه يظهر فيما بعد من الزمان ليدل على صدقه ، فهو الشاهد والمشهود عليه ، والبينة والدعوى ، كما أنه المعجزة والرسالة .

٤. المعجزة الحسية دلالتها واحدة وهي إثبات أن هذا مرسل من عند الله . وليست متنوعة في دلالتها المعرفية ، فهي تعبر عن قدرة الله تعالى وصدق النبي . بينما المعجزة العلمية : متنوعة الدلالات متضمنة لكثير من العلوم الدالة أنها من عند الله ، المحيط علماً بكل شيء .

٥. المعجزة الحسية : تأثيرها على القلوب على دلالتها فقط . بينما المعجزة العلمية : تأثيرها متعدد بتعدد مواضيعها وما تحمله من علوم ومعارف ذات دلائل متعددة ، فلها في كل قوم تأثير ، يناسب مستواهم العقلي والعلمي .

٦. المعجزة الحسية : لا تقوم بها الحجة إلا على من رآها أو نقلت إليه تواتراً . والمعجزة العلمية : تقوم بها الحجة على الناس أجمعين إلى قيام الساعة . لأن بإمكان أي بشر أن يراها ويشاهد إعجازها في أي جيل وفي أي عصر وفي أي مكان .

٧. المعجزة الحسية : تأتي جملة واحدة لا تتجزأ . والمعجزة العلمية : جاءت منجمة ومفرقة على مدى ثلاث وعشرون عاماً ، حتى اكتملت .

مناسبة البينة العلمية للرسالة الخاتمة:

لما ختم الله النبوة بمحمدٍ . ﷺ . وجعله خاتم النبيين وآخر المرسلين ، فلا يوجد بعده نبيّ ولا رسول إلى قيام الساعة ، كان لا بد من أن تكون الرسالة الخاتمة والمعجزة الخاتمة متناسبة مع ما تبقى من عمر هذه البشرية إلى قيام الساعة ، ولما كانت السنة الإلهية قد اقتضت أن عمر الرسول كعمر سائر البشر ولا يمكن أن يكون الرسول الخاتم معمراً في كل الأجيال حتى يدعوها ويقيم عليها الحجة والبينة ، كان لا بد أن تكون الرسالة الخاتمة من نوع آخر تختلف عن سائر الرسالات الموقوتة المحدودة التي سبقت ، وتصلح لكل الأزمنة والأمكنة والظروف والأحوال ، وكذلك المعجزة (البينة) لا بد أن تكون من نوع آخر تصلح لكل زمان ومكان وتقيم الحجة في كل الظروف والأحوال والمستويات المختلفة التي تصل إليها البشرية من تطور في مختلف العلوم فلا بد أن تكون المعجزة مواكبة لهذا التطور سابقة له .

وهذا ما كان ؛ فقد جاءت المعجزة الخالدة والرسالة الخاتمة مغايرة لما سبقها من الرسالات والمعجزات ، فجاءت رسالة محمد . ﷺ . وشريعته وبينته ومعجزته مغايرة لما سبقها من الشرائع والمعجزات ، تبقى مع الحياة بقاء الإنسان وتحقق له مصالحه في المعاش والمعاد ترتقي بالبشرية وتواكب مستواها العلمي وتراعي نضجها الفكري تأخذ بأيديهم إلى العلم وترتقي بعقولهم إلى الحقائق العلمية ، وتقدم لهم الإعجاز تلو الإعجاز في كل الميادين وعلى كافة الأصعدة وعلى جميع المستويات ، فجاءت وحياً أوحاه الله إليه متضمناً علم الله

المحيط بأسرار الخلق والتكوين في الآفاق والأنفس ، وأسرار التشريع والهداية ، وأسرار الغيب في التاريخ الإنساني حاضره وماضيه ومستقبله ، وأسرار البيان فصاحة وبلاغته .

ولهذا وصف الرسول ﷺ بينة رسالته التي خصه الله بها عن الأنبياء قبله ، بأنها وحي ، ثم علق رجاءه عليها في أن يكون أكثر الأنبياء أتباعاً على جهة الحقيقة لا الزعم ، وذلك بسبب وضوح آياتها وكثرة دلائلها وتنوع إعجازها وخلود بقائها وعموم خطابها وبلاغ حججها وبلاغتها وسطوع برهانها لأهل كل زمان وجيل كل عصر وأصحاب كل تخصص علم وفن ، يجدون فيها من الآيات البينات والحجج البالغات والبراهين النيرات ما يكفيهم للإيمان بالله ورسوله وصدق هذا القرآن العظيم ، فقال في حديث صحيح جامع من جوامع كلامه المنزه عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى : "مَا مِنْ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ من الآيات مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُه وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ".(١)

ففي هذا الحديث الشريف إشارة إلى طبيعة المعجزة في الوحي الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيبقى بعد موته ويتجدد إعجازه على مرّ العصور .

قال ابن حجر في شرح الحديث:" ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه، وفي بلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصرٌ من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر أنه سيكون، يدل على صحته دعواه ..... فعم به من حضر، ومن غاب، ومن وُجِد ومن سيوجد "(٢) .

يقول محمد الطاهر بن عاشور في شرحه للحديث: " ففيه نكتتان غفل عنهما شارحوه: الأولى أن قوله "ما مثله آمن عليه البشر" اقتضى أن كل نبي جاء بمعجزة هي إعجاز في أمر خاص كان قومه أعجب به وأعجز عنه فيؤمنون على مثل تلك المعجزة. ومعنى آمن عليه أي لأجله وعلى شرطه، كما تقول على هذا يكون عملنا أو اجتماعنا، الثانية أن قوله وإنما كان الذي أوتيت وحيا اقتضى أن ليست معجزته من قبيل الأفعال كما كانت معجزات الرسل الأولين أفعالا لا أقوالا، كقلب العصا وانفجار الماء من الحجر، وإبراء الأكمه والأبرص، بل كانت معجزته ما في القرآن من دلالة على عجز البشر عن الإتيان بمثله من جهتي اللفظ والمعاني، وبذلك يمكن أن يؤمن به كل من يبتغي إدراك ذلك من البشر ويتدبره ويفصح عن ذلك تعقيبه بقوله: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا إذ قد عطف بالفاء المؤذنة بالترتب، فالمناسبة بين كونه أوتي وحيا وبين كونه يرجو أن يكون أكثرهم تابعا لا تنجلي إلا إذا كانت المعجزة صالحة لجميع الأزمان حتى يكون الذين يهتدون لدينه لأجل معجزته أمما كثيرين على اختلاف قرائحهم فيكون هو أكثر الأنبياء تابعا لا محالة،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب / فضل القرآن ، باب : كيف نزل الوحي ، وأول ما نزل ، (الحديث ٤٩٨) ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، الحديث (٣٨٣) .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/٩) ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة بيروت .

وقد تحقق ذلك لأن المعني بالتابع التابع له في حقائق الدين الحق لا اتباع الادعاء والانتساب بالقول. ولعل الرجاء متوجه إلى كونه أكثر من جميعهم تابعا أي أكثر أتباعا من أتباع جميع الأنبياء كلهم، وقد أغفل بيان وجه التفريع في هذا اللفظ النبوي البليغ.

وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب إذ ليست كل آية من آياته ولا كل سورة من سوره بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن وغير حاصل به التحدي إلا إشارة نحو قوله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1] "[2].

المبحث الثالث

العلم الإلهي أساس إعجاز البينة القرآنية

سبق أن أفاد الحديث أن بينة محمد هي ما أوحاه الله إليه من الوحي ، المتمثل في القرآن لفظاً ومعنى والسنة معنى فقط ، وهنا نبين أن القرآن هو شهادة الله الكبرى لنبيه بالرسالة ، وتتمثل هذه الشهادة في علمه الذي أودعه في وحيه: المتعلق بأسرار الخلق والتكوين في الأنفس والآفاق وعلمه بالغيوب في الدنيا والآخرة ، وتظهر شهادة الله لنبيه بأنه رسول صادق وأن القرآن كتابه وكلامه ووحيه أوحاه إليه عندما يهيئ الله الأسباب للناس للكشف عن أسرار تلك الغيوب وحقيقة ذلك العلم الذي تضمنته أنباء القرآن ، وعندما يأذن الله بالكشف عنها يظهر صدق نبيه وصدق كتابه وصحة أنباءه وسعة علمه سبحانه بأسرار خلقه ، ويتحقق الإعجاز لكتابه بسبقه للناس في الإخبار بأسرار تلك العلوم والمغيبات ، وهذا العلم الذي ثبت صدقه وصحته هو شهادة الله لنبيه بأنه رسول من عنده ، شهادة ضمنها كتابه ، قال تعالى: ﴿ لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً ﴾ [النساء:١٦٦] قال الخازن عند تفسير هذه الآية : " لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي أنزله عليك " .

وقد تضمن القرآن الذي أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ تصديقاً له وتأكيداً . وهو الشهادة الكبرى . أربعة أوجه من الشهادة كأدلة محكمة مترابطة عن أساس إعجاز القرآن :

الأول : أن الله تعالى قد شهد فيه بأنه كلامه أنزله على نبيه محمد ﷺ.

الثاني : أنه أنزله متضمناً علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه.

الثالث : أن هذا العلم الذي تضمنه متعلق بأسرار الغيب وأسرار الخلق والتكوين في الأفاق وفي الأنفس وأن هذه الأسرار لا علم لبشر بها وقت نزوله وأنها ستتكشف لهم بعد حين

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢) .

(٢) التحرير والتنوير - (١ / ١٢٥، ١٢٦).

تباعاً في المستقبل لكل نبأ مستقر .

الرابع : أن هذا العلم المتكشف للناس . المتعلق بأسرار الغيوب وأسرار الخلق والتكوين في الكون والحياة . هو بمثابة شهادة الله لنبيه ولكتابه بأنه حق .

فأما الوجه الأول : شهادة الله لنبيه ﷺ بالرسالة ، فقد نصت بهذا كثير من النصوص ، منها قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً }الفتح٢٨ وجاءت هذه الشهادة في مقام الرد على إنكار المشركين لرسالته قال تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }الرعد٤٣ ، وقوله : {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }الأحقاف١٠ وقوله {فَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ }يونس٢٩ ، وقوله : {قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ }الإسراء٩٦ وقوله : {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً }الفتح٢٨ .

وأما شهادته لكتابه بأنه كلامه منزل من عنده ، فمن ذلك قوله تعالى ، في مقام الرد على إنكارهم لنزول القرآن عليه وزعمهم بأنه افتراه واختلقه من عنده،: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }الأحقاف٨ ، وقال في آية محكمة: {لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً }النساء١٦٦ ، ومن شهادته لنبيه ولكتابه معاً قوله تعالى : {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }الأنعام١٩ فهذا هو نص شهادته في القرآن.

وأما الوجه الثاني والرابع من شهادة الله تعالى في كتابه : فيتمثل في علم الله الذي أو دعه كتابه وأراد أن يطلع العباد عليه ، فهذا العلم هو بمثابة شهادة الله لنبيه ولكتابه بأنه حق ، فقد وردت بهذا النصوص ، من ذلك قوله تعالى : وقال في آية محكمة: {لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً }النساء١٦٦ ، كما أخبر أن سبب تكذيب المشركين به هو عدم إحاطتهم بهذا العلم الذي ضمنه الله كتابه ، وأنه سيكشف لهم تأويل ذلك العلم وحقيقة المراد منه في المستقبل ، وعندها سيعلم المكذبون صحة ما جاء في كتاب الله ، قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ يونس الآية (٣٩) ، كما قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ❖ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام الآية: (٦٦،٦٧).

قال ابن كثير : " فالله يشهد لك يا محمد بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم... ولهذا قال :(أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ) أي : فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان ، وما

يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه ، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل". وقال أبو العباس ابن تيمية : فإن شهادته بما أنزل إليه هي شهادته بأن الله أنزله منه، وأنه أنزله بعلمه ، فما فيه من الخبر هو خبر عن علم الله ، وليس خبراً عمن دونه ، وهذا كقوله : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود:١٤] وليس معنى مجرد كونه أنه معلوم له، فإن جميع الأشياء معلومة له، وليس في ذلك ما يدل على أنه حق، لكن المعنى: أنزله فيه علمه، كما يقال: فلان يتكلم بعلم، فهو سبحانه أنزله بعلمه، كما قال: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[(١)]"[(٢)]. وإلى هذا المعنى ذهب كثير من المفسرين[(٣)] .

وأما الوجه الثالث : فإن العلم الإلهي الذي يعد شهادة الله لنبيه ولكتابه ، فقد نصت آيات القرآن بأنه متعلق بأسرار الغيوب في الماضي والحاضر والمستقبل ، وأسرار الخلق والتكوين في الآفاق والأنفس ، في الكون والحياة ، من ذلك قوله تعالى : {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }العنكبوت٥٢ ، وقوله : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[(٤)]، أي وفي هذا الكتاب علمه الذي ضمنه فيه، بما في ذلك أسرار الكون وعجائب الخلق وحكم التشريع . كما سيأتي ،. كبينة واضحة وحجة بالغة ودليل قاطع وبرهان ساطع تثبت أنه من عند الله تعالى وليس من عند بشر، إذ لم يكن بمقدور أي بشر معرفتها أو الإحاطة بها وقت نزول القرآن، كما لا يمكن لأحد أن يطلع عليها إلا بجهود وبحوث وإمكانيات وتقنيات تتكشف من خلالها تلك الأسرار والحقائق.

وهذا العلم هو الشاهد الذي سيأتي بعد نزول القرآن تباعاً المذكور في قوله تعالى : {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ } هود١٧ وذلك عندما يتكشف كما بينت ذلك آيات أخر ، يخبرنا الله فيها، أنه سيكشف لنا تأويل تلك الأنباء، ويرينا آياته في الآفاق وفي الأنفس بعد حين. فنعرف حقيقة تأويل تلك الأنباء في الآفاق والأنفس، ونتأكد منها، وتطمئن قلوبنا، لذلك التأويل الذي أرانا الله، لتكون آيات بينات، نستدل بها على صدق كتابه الذي أنزل على ﷺوعندما تجمع تلك النصوص، التي تفسر بعضها بعضاً، وتكمله وتفصله، يتجلى المعنى وضوحا.

---

(١) سورة الفرقان الآية (٦) .

(٢) مجموع الفتاوى كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،(١٩٦/١٤) لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

(٣) ابن الجوزي والزمخشري وأبو حيان والألوسي والشوكاني ، البيضاوي والنسائي والخازن والجلالين .

(٤) سورة الفرقان الآية : (٦)

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[4] .

ففي الآية الأولى والثانية: وعدٌ من الله تعالى ، بأن يرينا آياته في الآفاق والأنفس، ويكشف لنا تأويلها ، فنعرف المقصود منها، فالحمد لله على هذا الوعد، وتلك الرؤية، وذلك الكشف.

وفي الآية الثالثة: يخبر الله تعالى فيها: أن معرفتنا لأنباء القرآن ستكشف وتتجلى بعد حين، والحين عند العرب لا حد له، ولا يحصر على وقت دون وقت، لا يجاوز ولا يقصر عنه، بل الأصح فيه أن يطلق دون تحديد أو تعيين له على وقت أو زمن معين، كما أطلقه الله في كتابه، كما قرر ذلك ابن جرير الطبري، عند تفسيره للآية، بعد أن ذكر الأقوال المتعددة في تفسير الحين[5] ؛ وعليه فإن لكل نبأ في القرآن حيناً خاصاً به، عندما يأتي أجل ذلك الحين، يقع فيه تأويل ذلك النبأ، ينكشف المعنى المراد من النبأ، ويستقر المعنى عند ذلك التأويل. كما قال تعالى:﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[6]، فيشرق معنى الآية، التي تحمل النبأ، ويظهر المراد بها، وهذا معنى قوله تعالى:﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[7]، أي وسوف تعلمون أيها المكذبون، صحة ما أخبر به.

المبحث الرابع

وجوه إعجاز البينة القرآنية

سبق أن تبين لنا أن القرآن معجزة علمية ، وأنه شهادة الله لرسوله ، وأن شهادة الله فيه تتمثل في العلم الإلهي الذي ضمنه الله تعالى كتابه ، وقد بين الله تعالى أن هذا العلم متعلق بالغيوب ومتعلق كذلك بأسرار الخلق والتكوين في الأنفس والأفاق ، كما أخبر أن الناس وقت نزوله لم يحيطوا بعلمه ، أي بحقائق وكيفيات وأسرار تلك الأنباء التي حملتها الآيات ، وأن تلك الأنباء لها زمن تنكشف فيه حقائقها وكيفياتها وأسرارها فيتحقق تأويلها ويتضح تفسيرها ويعرف حقيقة المراد منها للناس ، وأن كل نباء منها له حين يقع فيه تأويله وينكشف فيه المراد منه وهكذا ستتكشف أنباء القرآن تباعاً ، حتى يتبين للكافرين

---

(١) سورة فصلت الآية (٥٢) .

(٢) سورة النمل الآية (٩٣) .

(٣) سورة ص الآية (٨٨) .

(٤) سورة الأنعام الآية (٦٧) ،

(٥) جامع البيان في تفسير القرآن (١٢١/٢٣) ، للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، المولود ٢٢٤هـ والمتوفى ٣١٠هـ ، دار الفكر ، بيروت .

(٦) سورة الرعد الآية (٣٨) .

(٧) سورة الأنعام الآية (٩٣) .

والمرتابين أنه الحق ، بما حمل من أنباء هذه الأسرار التي لا يعلمها البشر بما فيهم محمد الذي أنزل عليه القرآن ، حتى أذن الله في الكشف عنها بياناً للناس وإعجازا لكتابه وإثباتاً أنه من عنده . وبهذا يتبين أن العلم الإلهي هو أساس إعجاز القرآن ، وسواء كان هذا العلم في المخبر عنه أو المخبر به وهو علم اللغة والبيان ، أو العلم بالمراد إخباره وهو الإنسان وخصائصه النفسية والعقلية والبدنية والتأثير فيه ، وسائر أوجه إعجاز القرآن التي ستأتي إنما تنبثق من هذا الأصل وتكشف وتعبر عن هذا الأساس .

ولإعجاز البينة القرآنية وجوه كثيرة متعددة ومتنوعة باعتبارات مختلفة ، نبينها بإيجاز فيما يلي :

الوجه الأول: تضمنه وإحاطته بأسرار البيان ، فصاحة وبلاغة ، في مفردات ألفاظه وتراكيب جمله ونظم سياق موضوعاته : فلقد كان القرآن العظيم غاية في الفصاحة والبلاغة ؛ وهذا وجه من أو جه إعجاز القرآن ، وليس هو إعجازه الوحيد كما قد يُفهم من كلام بعض المتقدمين أو كما قد يفهم بعض الناس ، وإن كان هذا الوجه هو الذي يظهر أنه الذي أعجز العرب باعتبارهم أرباب الفصاحة والبلاغة وقت نزوله وإلى يومنا، وهو كلام عربي مبين فجاء من جنس ما برعوا واشتهروا به وما وتنافسوا فيه ، بل إعجاز القرآن أعم من هذا الوجه بكثير ، وهذا النوع من الإعجاز البلاغي بما تضمنه من المعاني التي خاطب بها العرب ودخلت تحت معهودهم وفهمهم هو وجه من وجوه إعجازه ، ولعل هذا هو القدر الذي أعجزهم ، ولقد كان كافياً لإثبات إعجازه على العرب ذلك الحين . والسر في أوجه إعجازه بشكل عام ومنها إعجازه البياني والبلاغي ؛ أنه كلام الله ﷻ المتصف بصفات الكمال والجلال والإكرام الذي يحمل علمه الواسع المحيط بكل شيء ، والذي يليق به هو أن يكون كاملاً من كل الوجوه ، معجزاً لجميع الخلق ، فليس عجيباً أن يحمل كل وجوه الإعجاز ؛ لأنه يعبر عن عظمة الله وعلمه وصفات كماله وجلاله ، وفضل كلام الله ﷻ على كلام الناس كفضل الله على خلقه ، فأين الخلق وأين الخالق العظيم ﷻ ، فلهذا أعجز الفصحاء والبلغاء من قريش وسائر العرب وغيرهم إلى يوم القيامة ، حتى أن بلغاء قريش لما أبهرهم روعة القرآن واعترفوا بذلك لم يجدوا بعد ذلك إلا أن يقولوا : أنه سحر، كما حكى الله قول بعضهم: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ{٢٤} إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٢٥] .

ومن وجوه فصاحته وبلاغته (١) ما يأتي : -

- وإنك لتلاحظ أسلوبه البلاغي وعذوبة ألفاظه حتى في عرض الموضوعات العقدية والتشريعية والعلمية التي تستدعي البعُد عن اللفظ البديع غالباً .
- جمعه بين صفتي العذوبة والجزالة(٢) مع كونهما كالصفتين المتضادتين لا تكادان تجتمعان في الكلام.

(١) علم الإيمان / الشيخ / الزنداني . ص٥٥ . بتصرف يسير جداً.

(٢) العذوبة هي رقة اللفظ وسلاسته ، والجزالة : قوته ومتانته .

- مسحته اللفظية المميزة : -فهي مسحة خلابة عجيبة ، تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي ، فأما نظامه الصوتي فإنك تجده متسقاً مؤتلفاً في حركاته وسكناته ومدوده وغُنَّاته ، واتصالاته وسكتاته ، اتساقاً عجيباً وائتلافاً رائعاً ، يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور .
- فجرسه الصوتي يجذب السامع له ويلفت انتباهه ، حتى لو كان أعجمياً لا يعرف اللغة العربية ، ولعل هذا هو الذي حمل بعض العرب في عهد النبوة أن يقولوا : إنه شعر ، ثم عادوا إلى أنفسهم فعلموا أنّه فوق الشعر وأنه لايسير على منهج الشعر ومنواله فقالوا : هو سحر .
- وأما جماله اللغوي فهو ما امتاز به في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيباً بديعاً ، بحيث أنك تجد لذةً حين تسمع حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة ، فحرف يَصْفُر وآخر يَنْقُر، وهذا يُخْفى وذاك يُظْهر ، وهذا يُهْمس وذاك يُجْهر ، فخرج للناس بمجموعة مختلفة مؤتلفة ، جامعة بين اللين والشدة ، والخشونة والرقة ، والجهر والخُفْية على وجه دقيق محكم ، وَضَعَ كلاً من الحروف المتقابلة في موضعه بميزان ، حتى تألف من مجموع ذلك قالب لفظي مدهش بلغ جماله اللغوي قمة الإعجاز ، بحيث لو أدخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه واختل نظامه في آذان سامعيه[1] .
- إحكام ترابطه وكمال تناسقه مع كونه قد نزل مفرقاً حسب الحوادث في ثلاثٍ وعشرين عاماً ، بينما البشر يعجزون أن يصنفوا كلاماً مترابطاً كترابط القرآن إذا كان قد قيل في مناسبات مختلفة وفي أزمنة متباعدة ".

الوجه الثاني: تضمنه وإحاطته بأسرار الهداية والتشريع في الحياة الإنسانية

، واشتماله على شريعة صالحة مرشدة من حيث عمومها وشمولها وتكاملها وتوازنها وواقعيتها وجديتها ومثاليتها ، وثبوت أصولها ومقاصدها ومرونة فروعها ووسائلها ، ومناسبتها لطبيعة الإنسان وانسجامها مع فطرته وتحقيقها لمصالحة العاجلة والآجلة في معاشه ومعاده ، وقد كشفت الدراسات كثيراً من الحكم والمصالح الصحية (البدنية والنفسية) والمعاشية والاجتماعية المتعلقة بأحكام هذه التشريعات ولا تزال ، فهي بحق شريعة معجزة ذات خصائص إعجازية ، وأمثلته كثيرة والمؤلفات في الإعجاز التشريعي في بداياتها[2]

الوجه الثالث: تضمنه وإحاطته لكثير من أسرار الغيب:

(١) مناهل العرفان ٢/٣٣١ -٣٣٥ بتصرف ، وانظر كتاب "النبأ العظيم" لمحمد عبدالله دراز ، لزيادة التوضيح والتفصيل في إعجاز القرآن وروعته اللغوية .

(٢) أنظر كتاب " الإعجاز في التشريعي في الإسلام " للباحث د. سلطان زايد ، الطبعة الخامسة ٢٠١٣م مكتبة التوفيق للطباعة والنشر.

المتعلق بحوادث ووقائع التاريخ الإنساني ماضيه وحاضره ومستقبله ، وأسرار الغيب المتعلق بوجود حياة لمخلوقات وكائنات أخرى في الأرض وفي هذا الكون كالملائكة والجن والكائنات الدقيقة وغيرها مما كشف وما لم يكتشف ، وكذلك إنبائه عن أسرار الغيب في الآخرة كالبعث والنشور والحساب والميزان والجزاء والصراط والجنة والنار، وأمثلته كثيرة وقد ذكرها المصنفون في علوم القرآن قديماً وحديثاً ، ومن أمثلته التي كشفت أخيراً غرق فرعون وإبقاء جثمانه إلى اليوم وهي المومياء التي في المتحف المصري باسم رمسيس الثاني التي كشف عنها العالم الفرنسي موريس بوكاي وكانت سبباً في إسلامه ، والمثال الثاني شخصية هامان المذكور في القرآن والتي لم ترد في أي كتاب سماوي ولا مرجع تاريخي قديم أو حديث ، والتي أثبتت النقوش المكتشفة صحة هذه الشخصية وعملها الوظيفي كمستشار ومساعد لفرعون في الهندسة المعمارية وهو أخبر عنه القرآن [1].

الوجه الرابع: تضمنه وإحاطته لكثير من أسرار الخلق والتكوين في الآفاق والأنفس:

(أي علوم الكون والحياة) ، في الإنسان والحيوان والطيور والحشرات والكائنات الأخرى ، وفي النباتات والأشجار والفواكه والثمار ، وفي الفيزياء والكيمياء وعلوم الأرض من جبال ووديان ومياه وأنهار وبحار وطقس ومناخ وغلاف جوي وصخري وعناصر ومعادن، وفي الكون من شمس وقمر وكواكب ونجوم وأفلاك ومادة تكوين هذه الأجرام ، وعن نشأة الكون وتطوره وتوسعه ونهايته مصيره، وعن بداية الخلق والتكوين فيما سلف وكيفيته ، إلى الطب والوقاية والاستشفاء والعلاج والأمراض والأدوية ونحوها مما كشفته وتناولته بحوث الإعجاز العلمي ومؤلفاته التي ظهرت في عصر العلم والكشوفات العلمية ولا تزال ، وأمثلته كثيرة مستفيضة .

الوجه الخامس: اختيار ألفاظه وجمله وآياته وسوره وترتيبها وإحكام

مواضعها ودقة مواقعها وقدر أعدادها وتناسقها وما فيها من التوافقات، العجيبة وما تحمله أو تدل عليه من الدلائل البليغة والأسرار الخفية (بلاغية وعلمية) وإشاراتها الملفتة إلى علوم أخرى، بحيث لو فرضنا أن أحداً يقدر لهذا لفاتته الوجوه الأخرى وهو مستحيل ، والقرآن مليء بالأسرار والعجائب في هذا الوجه من إعجازه ، ومن ذلك وجوه الإعجاز المطروقة وغير المطروقة ، كالإعجاز اللفظي والجملي والعددي والرقمي بأنواعه ، ولا تزال هذه الوجوه من الإعجاز بحاجة إلى دراسة وتمحيص ، ومن أمثلة هذا اللون من إعجاز القرآن ، التوافق العجيب بين المتقابلات والمسميات والحقائق الكونية ، فهناك كلمات متقابلة تتكرر بشكل متساوٍ في القرآن الكريم منها على سبيل المثال:

الحياة تكررت ١٤٥مرة ..... الموت تكررت ١٤٥مرة

الصالحات تكررت ١٦٧ مرة ..... السيئات تكررت ١٦٧مرة

(١) أنظر كتاب علم الإيمان / الشيخ / الزنداني . ص٩٧ .

الدنيا تكررت ١١٥مرة .....الآخرة تكررت ١١٥مرة

الملائكة تكررت ٨٨ مرة .....الشيطان تكررت ٨٨ مرة

المحبة تكررت ٨٣ مرة ..... الطاعة تكررت ٨٣ مرة

الهدى تكررت ٧٩ مرة .....الرحمة تكررت ٧٩ مرة

الشدة تكررت ١٠٢ مرة .....الصبر تكررت ١٠٢ مرة

السلام تكررت ٥٠ مرة .....الطيبات تكررت ٥٠ مرة

تكررت كلمة الجهر ١٦مرة ..... العلانية تكررت ١٦مرة

إبليس تكررت ١١ مرة ..... الاستعاذة بالله تكررت ١١مرة

تكررت جهنم ومشتقاتها ٧٧مرة ..... الجنة ومشتقاتها تكررت ٧٧مرة .

وهناك كلمات بينها علاقات في المعنى وردت ضمن علاقات رياضية دقيقة ومتوازنة منها على سبيل المثال:

الرحمن تكررت ٥٧مرة .....الرحيم تكرر ١١٤ مرة أي الضعف

الجزاء تكررت ١١٧مرة .....المغفرة تكرر٢٣٤مرة أي الضعف

الفجار تكررت ٣مرة .....الأبرار تكرر ٦مرة أي الضعف

النور ومشتقاتها تكررت ٢٤ ..... الظلمة و مشتقاتها تكررت ٢٤مرة

العسر تكررت ١٢مرة..... .....اليسر تكرر٣٦مرة أي ثلاثة أضعاف

قل تكررت ٣٣٢ مرة ..... قالوا تكررت ٣٣٢مرة

ولفظة الشهر بلغ ١٢ مرة (وكأنه يقول إن السنة ١٢ شهرا) ، ولفظة اليوم بلغ عددها ٣٦٥ مرة (وكأنه يقول إن السنة ٣٦٥ يوما)

وقد وردت كلمة البر ١٢ مرة وبضمنها كلمة يبسا (بمعنى البر) بينما بلغ تكرار كلمة البحر ٣٢ مرة (وفي ذلك إشارة إلى أن هذا التكرار هو بنسبة البر إلى البحر على سطح الأرض الذي هو بنسبة ١٢ / ٣٢).

إن معجزة الأرقام في القرآن الكريم موضوع مذهل حقاً ،وقد بدأ بعض العلماء المسلمين بدراستها عن طريق أحدث الآلات الإحصائية والحواسيب الكترونية ما أمكن دراسة وإنجاز هذا الإعجاز الرياضي الحسابي المذهل ، لا شك أنه من عند الله تعالى ،وأنه وصلنا سالماً من أي تحريف أو زيادة أو نقص . فنقص حرف واحد أو كلمة واحدة أو زيادتها، يخل بهذا الإحكام الرائع للنظام الحسابي له ، فهذا الإعجاز مؤسس على أرقام ، والأرقام تتكلم عن نفسها، فلا مجال هنا للمناقشة، ولا مجال لرفضها، وهي تثبت إثباتاً لا ريب فيه أن القرآن الكريم هو: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود:١) وقد شاء الله تعالى أن تبقى معجزة

الأرقام سراً حتى اكتشاف الحواسيب الإلكترونية . (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (فصلت:٥٣) (١).

الوجه السادس: عدم وجود اختلاف في معانيه :

، أي اختلاف تناقض وتضاد أو اضطراب ، على تنوع موضوعاته وعلومه الواسعة وكثرة دلائله وأحكامه واستفاضة معانيه ، ورغم نزوله مفرقاً حسب الوقائع والحوادث في فترات متقطعة وظروف وأحوال مختلفة طيلة ثلاث وعشرين سنة ، نجده على ذلك كله يصدق بعضه بعضاً ويبين بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً ويكمل آخره أوله[٢].حتى في الموضوع الواحد منه وقد طرق في أزمان متفرقة عند تنزله ، لا يزيد معانيه إلا تماسكاً وجلاء ، وهو الأمر الذي يستحيل خلوه من كلام بشر ، لنقصان علم البشر وزيادته وتأثرهم في نظرتهم للأمور بمؤثرات كثيرة ، تتغير تبعاً في مفاهيمهم وأحكامهم وتصوراتهم واعتقاداتهم بحسب الحوادث والوقائع بل نرى هذا في كل عمل بشري على عكس القرآن العظيم، لا تجد أثراً لشيء من هذا الاختلاف في كتاب الله، لأنه من كلام الذي لا تغيره الأحوال سبحانه، ولا يشوب علمه النقص، وهذا من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وقد استدل به القرآن على هذا فقال تعالى : {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً } النساء٨٢ .

يقول الطبري عند تفسيره لهذه الآية : " أفلا يتدبر الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع التابعين وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضا بالتصديق وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق فإن ذلك لو كان من الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه وأبان بعضه عن فساد بعض "(٣) .

وقال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : " قوله تعالى ﴿ {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾(٤) أي تفاوتا وتناقضا عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ولا يدخل في هذا اختلاف ألفاظ القراءات وألفاظ الأمثال والدلالات ومقادير السور والآيات وإنما أراد اختلاف التناقض والتفاوت وقيل المعنى لو كان ما تخبرون به من الله لاختلف وقيل إنه ليس من متكلم يتكلم كلاما كثيرا إلا وجد في كلامه اختلاف كثير إما في الوصف واللفظ وإما في جودة المعنى وإما في التناقض وإما في الكذب

(١) موسوعة الإعجاز العددي فراس نور الحق موقعه الاكتروني

(٢) انظر كتاب/ دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ محمد الأمين الشنقيطي للرد على من توهم وجود تعارض في الآيات القرآنية .

٣) تفسير الطبري (٥/ ١٧٩)

٤) سورة النساء الآية (٨٢) .

فأنزل الله عز وجل القرآن وأمرهم بتدبره لأنهم لا يجدون فيه اختلافا في وصف ولا ردا له في معنى ولا تناقضا ولا كذبا فيما يخبرون به من الغيوب وما يسرون "(١) .

الوجه السابع : طريقته في أساليب الخطاب ومكوناته ؛

وذلك أن الخطاب القرآني يتكون من ثلاثة جوانب أساسية : الأول : الحقائق والحجج العلمية ، والثاني: الحوافز الوجدانية ، والثالث : القوالب البيانية البلاغية ، **فالأول** : يخاطب بها العقل فتتكون الأفكار والتصورات والموازنات والتمييز بين الأمور المختلفة ونحو ذلك من الوظائف العقلية المعرفية ، كما أنه يوجه أنظارهم وعقولهم إلى تدبر ما يخاطبهم به ويحثهم على التفكر والنظر وترك الظن والتقليد وموانع التفكير ويسلك . كثيراً من الأحيان . في توضيح حقائقه وحججه وتقريرها في العقل مسلك مناهج البحث العلمي كالاستقراء والوصف والتحليل والاستنباط والاستدلال ، **والثاني:** يخاطب بها النفس مكوناً المشاعر والانفعالات الوجدانية في القلب ، وهذه الحوافز الوجدانية : مثل الحض والنداء والإغراء والتعجب والاستنكار والاستغراب والترغيب والترهيب والترحم والتعظيم والتحقير والتخويف والتأمين والإغضاب والتفريح والحث والإشادة والتقريع والتوبيخ والتأنيب والتثريب والاستهزاء والشكر والإشادة والمدح والثناء والامتنان والتفضل والذم والتقليل والتكثير والتصغير والتكبير والقصة والحوار والمناقشة وضرب الأمثال والاتعاظ والاعتبار ونحو ذلك من الأساليب العربية التي تحمل حوافز وجدانية معبرة عن أحوال النفس الإنسانية ، وتكمن أهمية أساليب الحوافز الوجدانية ، في أنها حوافز مؤثرة وفاعلة في النفس، تُحدِثُ انفعالات وجدانية تستثير النفس بغية استجابة القلب لمقاصد الخطاب ، والتي يتوقف عليها اتخاذ القرارات والمواقف السلوكية ، كترجمة لذلك التأثر الوجداني في النفس، ولهذا كثيراً ما سمى الله آياته بالموعظة والذكرى كما سماها بالحجة والبينة والبرهان ونوعها لهم بأساليب مختلفة ولك أن تتأمل المعاني التي ذكرنا في هذه الآيات البينات: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً }طه١١٣، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }ق٣٧ ، {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً }الإسراء٤١، {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣ ، {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }هود١٢٠ ، {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ }الأنبياء٨٤ ، {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }العنكبوت٥١ ، {هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ }غافر٥٤ {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ }ق٨ ، {وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن

١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٩٠) .

قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ }النور٣٤، {ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }النحل١٢٥ ، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }يونس٥٧ ، فانظر إلى هذه الأساليب والحوافز الوجدانية المدعمة للحقائق العلمية العقلية في الآيات السالفة ، كأنها سياط تقرع القلوب وقوارع تهز النفوس وتستثيرها لتستجيب ، وتأمل في حبك المادة العلمية مع الحوافز الوجدانية في قالب بياني بليغ فريد معجز في قوله: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }البقرة٢٧٥ .

وهنا لفتة مهمة : وهي أن حصول الانفعال الوجداني ضروري لحصول الاستجابة القلبية التي يترتب عليها سلوك وعمل ، وهنا تكمن أهمية الحوافز الوجدانية في إحداثه ، إذ أن الحجج العلمية التي تخاطب العقل والتي تعد مادة الإقناع والتأثير الوجداني الأساسية ، قد لا تؤتي ثمرتها في الانفعال الوجداني المنتظر إحداثه من خلالها، لعوائق موجودة في النفس تقلل تأثيرها أو تصرفها جزئياً أو كلياً ، فلهذا احتاجت مادة الخطاب العلمية المجردة، إلى تعزيز مؤثر يخاطب القلب (النفس) مباشرة ليحدث هذا التأثير المتخلف ، وهذا هو دور أساليب الحوافز الوجدانية . ولعل هذا المعنى هو نفس ما دلت عليه الآية في هذا الخطاب من قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً }النساء٦٣.

المكون الثالث : أساليب البيان البلاغية ، وهي عبارة عن قوالب لفظية فصيحة مركبة في جمل بليغة تحمل تلك الحقائق والحجج العلمية مع الحوافز الوجدانية التي صيغت في سياق موضوعها صياغة فريدة ، معبرة عن تلك الحقائق والحوافز المرادة ، من حيث اختيار الألفاظ والجمل وأنواع تراكيبها وأساليبها البلاغية ، الدالة عليها والمعبرة عنها بصورة تتناسب مع حال المخاطبين.

فأسلوب البيان في خطاب القرآن: هو قالب تعبيري بليغ ، تصاغ فيه وتوصل من خلاله المعلومات والحقائق والحجج العلمية والحوافز الوجدانية المؤثرة إلى المخاطبين ؛ لتحدث تأثيراً في النفس وانفعالاً وجدانياً في القلب بغية تحقيق استجابة قلبية لمقاصد الخطاب القرآني تترجم إلى سلوك وممارسة عملية.

وقد نبه القرآن إلى هذه الخصائص بقوله : {قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }الأنعام١٤٩ ، والحجة هي العلم وهي المكون الأول ، والبالغة ، بمعنى المؤثرة ، إشارة إلى أساليبه الوجدانية المؤثرة في النفس (وجدان القلب) وهي المكون الثاني ، والبالغة كذلك بمعنى : البليغة إشارة إلى بلاغة البيان وهي المكون الثالث، وكذلك يدل عليه قوله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً }النساء٦٣، والقول البليغ هو الخطاب المؤثر الذي يقع في قلوبهم

موقعاً عظيماً ، كما أنه خطاب بليغ البيان ، وقد تضمنت هاتان الآيتان أساليب وجدانية مثل أسلوب الإشارة إلى المخاطب البعيد، وذكرهم بالوصف لا بالاسم المفيدان للتجهيل والتحقير ثم التوجيه لنبيه لاتخاذ أساليب وجدانية وسلوكية مرتبة معهم ، بداء بالإعراض والوعظ والقول البليغ بالمعنى السابق مع بيانه لارتباط هذه الأساليب بالنفس أو القلب باعتباره منبع التأثر والانفعال الوجداني والسلوكي ، وفي الآية الأولى بين دور الحجج العقلية المدعمة بالأساليب الوجدانية البليغة كمادة أساسية في الهداية إضافة إلا البلاغة البيانية .

إن جمع الخطاب القرآني بين هذه المكونات الثلاثة: الحقائق العلمية ، والحوافز الوجدانية ، والقوالب البيانية البليغة، بهذا السبك البديع والحبك الفريد في سياق موضوعه ، هو خطاب فعَّال يهز الكيان الإنساني جميعاً ، لأنه يخاطب كل مكونات الكيان الإنساني التعلمية الوظيفية المعرفية والوجدانية والسلوكية ، لأنه هو الذي خلق الإنسان ويعلم تكويناته ومكنوناته وأسراره وخفاياه ، القائل : {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }الملك١٤ ، فهو يخاطب العقل والقلب معاً ، ويستثير الفكر والوجدان جميعاً ويستجيش النظر والعاطفة سوآءا ، كما أن في تناسق مكونات هذا الخطاب وتكاملها وشمولها ما يبهر العقول ويأسر القلوب وتحار فيه الأحلام وتقع بشباكه النفوس وتوجل لبيانه القلوب وتقشعر لحسن جلاله الأبدان وتخضع له الأعناق من روعة الإعجاز ، ولعل في ذلك الجمع البليغ والتناسق الفريد بين مكوناته ، يكمن السر في تأثيره العجيب على العقول والقلوب والنفوس والأبدان ، لدى قارئيه وسامعيه ، عافية وشفاء أو نفرة وعذابا ، لبلاغة الحجة ووضوح المحجة وعظمة المتكلم وجلالة قدره وإحاطة علمه وسعة رحمته بعباده ونصحه لهم بما ينفعهم ويصلحهم ويصلح لهم في معاشهم ومعادهم ، فتقف النفس مُجِلة لخطابه مستجيبة لنداء رحمته وهداه أو خائفة مذعورة من عاقبة تقصيرها ومخالفتها أمره وتوجيه فتعرض عن سماعه مستنفره كأنها حُمُرٌ فرت من قسورة ، كما جاء وصف جميع ما ذكر في كلام العظيم المنان : {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }الزمر٢٣ ،{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }الحشر٢١ ، وقوله: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }الرعد٣١، {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً }الإسراء٨٢ {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً }{ }الإسراء٤٥ ،٤٦.

ومن أوجه إعجازه في أساليب الخطاب ما يلي :

أ. " تضمنه أصح المعلومات وأدقها وأكملها ، وأصدق المعاني وأوضحها ، وأحسن الكلام والتعبير بأفصح المفردات والتراكيب وأبلغها وأعذبها ، وسريان ذلك فيه من أوله إلى آخره، وإنه ليستحيل على بشرٍ أن يصل إلى هذا السمو ، فإنه إن راعى دقة المعلومة فاته رونق اللفظ وعذوبته غالباً، وإن أراد تنميق الألفاظ وتزيينها لم يصل إلى مراده في دقة المعنى المراد أو المعلومة التي يوردها .

ب. إرواؤه لمطلب العقل والعاطفة معاً بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

ج. قصده في اللفظ مع الوفاء بحق المعنى : فإنه يجلي المعنى كاملاً واضحاً في كلمات وعبارات قاصدة ليست بالطويلة المملة ، أما البشر فإنه إن أراد الاقتصاد في اللفظ قصر في التعبير عن المعنى المطلوب ، وإن أحب تجلية المعنى قاده ذلك إلى التطويل في العبارة ، وإن قُدّر أنه ضبط اللفظ مع المعنى في جملة أو جملتين ، فإن الكلال والإعياء سيلحقه بعد ذلك في بقية الكلام ، وندر أن يصادفه هذا التوفيق مرة ثانية إلا الفينة بعد الفينة .

د. جودة سبكه وإحكام سرده : مع أنه حوى موضوعات كثيرة مختلفة شاملة لحاجات البشر في الدنيا والآخرة من تشريع وقصص ومواعظ وبراهين عقلية ووجدانية ومناقشات وأمثال وحكم وغير ذلك ، فقد سبك هذه الموضوعات جميعاً وغيرها سبكاً حكيماً ، فتراه مترابطاً ترابط الجسم الواحد والروح الواحدة .

ه. إشباعه العامة والخاصة على السواء : فالجميع يتذوق حلاوته ويجد فيه من بغيته ما يمتع عقله وقلبه ، فالعامة يلتذون به ويفهمون منه على قدر استعدادهم وما تبلغه عقولهم وقلوبهم ، والخاصة يجدون حلاوته ويفهمون منه أكثر مما تفهم منه العامة ، بخلاف غيره من كلام البشر فتجد منه ما يرضي العامة لسهولته ولكن الخاصة تمجّه لكونه دون مستواهم ، وإن أرضى الخاصة لارتفاع مستواه لم يُرضِ العامة لكونهم لا يفهمونه "(١).

الوجه السابع: قوة تأثيره على قارئه وسامعه والروعة والهيبة التي تلحقهم عند قرآنه.

"هناك علامات واضحة بينة في القرآن تدل قارئه وسامعه أنه من عند الله عز وجل ويستحيل أن يكون من عند غيره ومنها :

١) أنه كلام فريد: فكلام البشر درجات وطبقات متقاربة ويمكن دمج كلام بعضهم ببعض لكن القرآن يمثل درجة متميزة، وطبقة من الكلام خاصة، تتميز عن سائر كلام البشر ، فإذا تكلم الخطيب أو كتب الكاتب،

١) علم الإيمان مرجع سابق ص٢٠١.

واستشهد بآيات من كتاب الله تحس بالفارق الجلي بين مستوى كلام الله وكلام البشر، يشعر به السامع والقارئ، بينما كل كلام للبشر يمكن دمجه بغيره دون الإحساس بفارق .[1]

٢) كونه روحاً من أمر الله : باعتبار أن قارئ القرآن ومستمعه يشعر أن الكلام الذي يستمع إليه كلام إله عظيم وأنه رب كل شيء ، وهذه علامة يجدها كل واحد يصغي إلى القرآن بسمعه ويتأمله بقلبه ، يكون الكلام انعكاساً لشخصية المتكلم وعلمه وخبرته وصفاته، وقارئ القرآن يقع في نفسه شعور بأن المتكلم إليه هو الله سبحانه. قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى:٥٢]، فهناك سر خاص وسلطان خاص يحمله القرآن إلى قارئه يدله على أنه كلام الله .

٣) الجدة الدائمة : يلمس القارئ أثراً من آثار إعجاز القرآن حين يقرأ القرآن العظيم ، فكلما ما قرأه وجده جديداً، ولا يزال يشعر بأنه جديد لا يبلى مهما تكرر على اللسان والسمع ، وكم كرر المسلمون ويكررون سورة الفاتحة وقصار السور كل يوم ، وكلهم يجمعون على أن القرآن الكريم لا يزال جديداً على ألسنتهم ، وهذه علامة تخضع للممارسة من كل قارئ للقرآن في أي زمان وفي أي مكان ، كما أنها علامة إلهية في كل سورة. ولقد نطق أحد كبار المستشرقين بهذه الحقيقة ، وهو المستشرق " ليون " فقال : حسب القرآن جلالة ومجداً أن الأربعة عشر قرناً التي مرت عليه لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كأن عهده بالوجود أمس"[2] .

وقد اعترف العرب بتأثير القرآن عليهم ، وتأثرهم به ، ولهذا فقد انقسموا فتحت تأثير القرآن فريقان : فريق تأثر به وآمن فكان هذا التأثر سبيل إيمانه وهم أكثر المؤمنين ومن أبرزهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومنهم من تأثر به فجحد واستنفر ولما رأوا هذا التأثير يبلغ منهم كل مبلغ ، انطلقوا يتحاذرون ويتواصون فيما بينهم باللغو عند سماع القرآن حتى لا يتأثر به من يسمعه منهم فيسلم ، وقد حكى القرآن عنهم فعلهم هذا قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[فصلت:٢٦] .

قال مجاهد : الغوا فيه بالمكاء[3] والتصدية[4] والتخليط في الكلام حتى يصير لغواً" ، وقال الشوكاني : عارضوه باللغو الباطل ، أو ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له.[5]

---

(١) قال ابن تيمية : نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب ، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل ، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم أ.هـ الجواب الصحيح ٤٣٣/٥ .

(٢) علم الإيمان / الشيخ / الزنداني . ص٦٠ . بتصرف يسير جداً.

(٣) المكاء : الصفير .

(٤) التصدية : التصفيق .

(٥) انظر تفسير الشوكاني .

وكانوا يحذِّرون حتى القادمين إلى مكة من سائر العرب من سماع القرآن خشية أن يتأثروا به فيُسلموا، ومن ذلك ما ذكره الطُفَيل بن عمرو لما قدم إلى مكة من أنه لم يزل به الكفار يحذرونه من سماع القرآن حتى وضع في أذنيه قُطناً خشية أن يسمع شيئاً من القرآن ، وأبى الله سبحانه إلا أن يسمعه شيئاً منه مع وجود ذلك القطن ، فهدى الله قلبه لسماع القرآن ومن ثَمَّ شرح الله صدره للإسلام.(١)

ولما سمع الوليد بن المغيرة القرآن فكأنّه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوه لك ، فإنك أتيت محمداً لِتَعرَّض لما قِبَله ، قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ! قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا أعلم برَجَزِه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمُثمر أعلاه مُغْدِق أسفله، وإنه ليَعْلو وما يعلى، وإنه ليَحْطِمُ ما تحته !! ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه !!. قال : فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره(٢) !! فنزلت الآيات في الوليد قال تعالى: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً{١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً{١٢} وَبَنِينَ شُهُوداً{١٣} وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً{١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ{١٥} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً{١٦} سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً{١٧} إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ{١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ{١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ{٢٠} ثُمَّ نَظَرَ{٢١} ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ{٢٢} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ{٢٣} فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ{٢٤} إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ{٢٥} سَأُصْلِيهِ سَقَرَ{٢٦} [إلى أن قال] فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ{٤٩} كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ{٥٠} فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ{٥١} ﴾ [المدثر:١١ -٢٦](٣) ، فقول الوليد : إن القرآن سحر، يبين عميق التأثير الذي أحدثه القرآن في نفسه .

وقال الزهري : حُدِّثْتُ أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله j، وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فلما طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألاّ نعود ، فتعاهدوا على ذلك، ثم

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٢٦ -٢٢٧ .

(٢) أي : أتيت محمداً تريد شيئاً من العطاء من جهته .

(٣) أخرج هذه الحادثة الحاكم في المستدرك ٢/٥٥٠ وقال صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وعن الحاكم أخرجها البيهقي في شعب الإيمان ١/١٥٦ -١٥٧ .

تفرقوا. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ، فقال : يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ، ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به كذلك ، قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال ماذا سمعت ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذينا[1] على الركب، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منّا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه . قال : فقام عنه الأخنس وتركه.[2]

فحرصهم على الحضور ليلاً لسماعه مما يدُلُّ على تأثرهم به وتعجبهم منه لكونه ليس ككلامهم ، ولكن العناد والمكابرة حملهم على تركه كما قال أبو جهل .

ومما يدل على تميز القرآن الذاتي عن كلام العرب ما شهد به أُنَيْس بن جنادة الغفاري قبل إسلامه، حيث سأله أخوه أبو ذرّ عما يقول الناس في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يقولون : شاعر، كاهن، ساحر – وكان أنيس أحد الشعراء – قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء[3] الشعر فما يلتئم على لسان أحدٍ أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون...".[4]

وقدم جُبير بن مُطْعِم إلى المدينة قبل إسلامه في فداء أُسارى بدر فسمع النبي ﷺ يقرأ في صلاة المغرب بسورة الطور[5] قال : فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن[6]، وفي رواية : وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[7]

فهؤلاء من قريش أفصح العرب يشهدون ببلاغة القرآن وفصاحته من خلال تأثرهم به.[8]

---

(١) تجاذينا : مأخوذ من قولهم : جذا الرجل إذا جلس على ركبتيه .

(٢) سيرة ابن هشام ٣٣٧/١ -٣٣٨ .

(٣) أقراء الشعر : طرائقه وأنواعه .

(٤) مسلم ك/ فضائل الصحابة ب/ من فضائل أبي ذر ، وأحمد في مسند الأنصار من حديث أبي ذر الغفاري .

(٥) أخرجه البخاري ك/ الجهاد والسير ب/ فداء المشركين ، ومسلم ك/ الصلاة ب/ القراءة في الصبح .

(٦) أخرجه أحمد في أول مسند المدنيين من حديث جبير بن مطعم ، والبيهقي في السنن الكبرى ٤٤٤/٢ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٢١١/١ - ٢١٢ ، والطبراني في المعجم الكبير ١١٦/٢ والصغير ٢٦٥/٢ وغيرهم ، وذكره الحافظ في فتح الباري ٤٩٢/٢ .

(٧) أخرجه البخاري ك/ المغازي ب/ شهود الملائكة بدراً .

(٨) بل إن بعض نصارى العرب المتأخرين ممن لهم تضلع في اللغة العربية وآدابها قد اعترفوا بذلك ، ومنهم الكاتب البليغ: إبراهيم اليازجي وكذلك الشاعر المعروف خليل مطران كما نقله عنهما الرافعي رحمه الله في وحي القلم وكذلك الأستاذ جبر ضومط مدرس علوم البلاغة في الجامعة الأمريكانية في كتاب الخواطر الحسان كما نقله عنه الأستاذ: محمد رشيد رضا رحمه الله . انظر علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر ص٢٠١.

وما أحسن ما سطره الرافعي في تصويره تأثير القرآن في العرب الذين كانت الفصاحة والبلاغة من أبرز مفاخرهم ، وأنه لولا فصاحة ألفاظه التي بلغت حد الإعجاز لما استطاع التأثير فيهم لأنه قد قامت فيهم بالفصاحة "دولة الكلام ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن".[1]

ولقد أدرك المستشرق (س . ل) هذه العلامة الإلهية كما أدركها غيره، فقال : "إن أسلوب القرآن جميل وفياض ، ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين ، يجذبهم إلى تلاوته ، سواء في ذلك الذين آمنوا به ، أو لم يؤمنوا به وعارضوه."

وقد ذكرنا مدى تأثيره في كفار قريش ، ويكفي المتأمل ما أحدثه من تأثير هائل في حياة العرب الأميين حتى جعل منهم خير أمة أخرجت للناس قادت البشرية بالعلم والعدل والحق ، وصهرت الشعوب في بوتقتها ، رغم اختلاف أجناسها وألوانها .

تجربة في تأثير القرآن على التوتر العصبي :

أجرى د. أحمد القاضي تجربة لقياس أثر القرآن على من لديهم توتر عصبي [2]، فكان يعرض هؤلاء هؤلاء المتوترين على تجارب متعددة ، فكان يجرب أثر السكون والموسيقى والقرآن عليهم ، فوجد أن الذين استمعوا للقرآن وهم لا يعرفون اللغة العربية انخفض التوتر لديهم إلى نسبة تصل إلى ستين في المائة، وأن الذين كانوا يفهمون اللغة العربية ويعرفون معاني الآيات انخفض توترهم إلى تسعين في المائة ، بينما كان تأثير السكون والموسيقى في درجات متدنية. ويمكن لكل شخص تصيبه حالة من الأرق في النوم أو القلق ، أن يعالج نفسه بقراءة ما تيسر من القرآن فإنه كفيل بإذهاب ما ألم به ، وإن كثيراً من المجهدين بالتوتر العصبي إذا استمعوا إلى كلام الله ارتخت أعصابهم ورأيت النعاس يداعب أجفانهم، إن هذه القوة المؤثرة في الأعصاب تدل على مصدرها الإلهي العظيم . وصدق الله القائل: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ{٢٨} الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ [الرعد:٢٨].

تأثر الشاعر المعاصر نقولا حنّا : -حيث كان نصرانياً ، ثم أعلن إيمانه بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وآله وسلم. يقول عن نفسه : - قرأت القرآن فأذهلني ، وتعمقتُ به ففتنني ، ثم أعدت القراءة فآمنت .. آمنت بالقرآن الإلهي العظيم ، وبالرسول مَنْ حَمَلَه ، النبي العربي الكريم ... إلى أن يقول: - وكيف لا أومن ومعجزة القرآن بين يديّ انظرها وأحسها كل حين ؟! هي معجزة لا كبقية المعجزات .. معجزة إلهية خالدة تدل بنفسها عن نفسها ، وليست بحاجة لمن يحدث عنها أو يبشر بها. وقال : - وكم احتاجت وتحتاج الأديان السابقة إلى علماء ومبشرين وشواهد وحجج وبراهين لحض الخلق على اعتناقها ، إذ ليس لديها ما هو منظور

(١) إعجاز القرآن ١٥٧ -١٦٠ .

(٢) بحث نشر في مؤتمر الإعجاز الثامن بقطر للدكتور أحمد القاضي .

محسوس يثبت أصولها في القلوب .. أما الإسلام فقد غني عن كل ذلك بالقرآن فهو أعلم مُعلِّم وأهدى مبشر ، وهو أصدق شاهداً وأبلغ حجة وأدمغ برهاناً .. هو المعجزة الخالدة خلود الواحد الأزلي المنظورة المحسوسة في كل زمان ". ثم نظم قصيدة يبين فيها إعجاز القرآن وعظمته[1] .

الوجه الثامن: الاستشفاء به في كثير من الأمراض النفسية والبدنية ،) :

يقول الشنقيطي في تفسير قوله تَعَالَى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) الإسراء ٨٢ ، وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : مَا هُوَ شِفَاءٌ [١٧ \ ٨٢] يَشْمَلُ كَوْنَهُ شِفَاءً لِلْقَلْبِ مِنْ أَمْرَاضِهِ ؛ كَالشَّكِّ وَالنِّفَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَوْنَهُ شِفَاءً لِلْأَجْسَامِ إِذَا رُقِيَ عَلَيْهَا بِهِ ، كَمَا تَدُلُّ لَهُ قِصَّةُ الَّذِي رَقَى الرَّجُلَ اللَّدِيغَ بِالْفَاتِحَةِ ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ مَشْهُورَةٌ)[2] ، والتجارب الكثيرة تقطع بهذا ومنها ما سبق.

الوجه التاسع: ترابط هذه الوجوه ببعضها فلا يطغى منها وجه على حساب وجه آخر في سبك فريد وتكامل عجيب وتناسق معجز .

الوجه العاشر : أمية النبي ﷺ :

أن الرجل الذي أنزل عليه هذا القرآن الذي احتوى كل هذه الأسرار والعلوم ، أمي عاش في أمة أمية لا تعرف القراءة ولا الكتابة . قال تعالى : {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }الجمعة٢ ، ولقد جاء وصف النبي الخاتم في الكتاب السابقة بأنه أمي قال تعالى: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف١٥٧ ، { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } الأعراف١٥٨ ، وكذلك قومه فقد وصفهم في كتاب الله وفي الكتب السابقة بأنهم

---

(١) علوم القرآن الكريم د. نور الدين عتر ص٢٠١ -٢٠٢ وذكر من ضمن أبيات قصيدته : -

يقولون : ما آياته ؟ ضلَّ سعيهم وآياته – ليست تُعَدُّ – عِظَامُ

كفى معجزُ الفرقان للناس آيةً علا وسما كالنجم ليس يُرام

فكُلُّ بليغٍ عنده ظل صامتاً كأنَّ على الأفواه صُرَّ كِمَامُ

وشاء إله العرش بالناس رحمةً وأن يتلاشى حقدهم وخصامُ

ففرّق ما بين الضلالة والهدى بفرقان نور لم يَشُبْه قَتَامُ

(٢)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣ / ١٨١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان .

أميين وأن محمداً رسول الأميين : { فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } آل عمران٢٠ ، وقال حاكياً عن أهل الكتاب: { وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل عمران٧٥ ، يعنون العرب. ولهذا قال النبي ﷺ : " إِنَّا أُمَّة أُمِّيَّة لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ "، رواه مسلم ، وكون النبي أمي أدعى لإعجاز القرآن ، إذ لو كان متعلماً القراءة والكتابة لكان أدعى إلى لتكذيبه والزعم أنه من تأليفه ، كما قال تعالى {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ }العنكبوت٤٨ {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }يوسف٣

الوجه الحادي عشر : حفظه من التغيير والتبديل رغم تطاول الزمان وكثرة الخصوم:

ومن العلامات الإلهية في القرآن كونه محفوظاً من التغيير والتبديل ، مع مرور الأزمنة المتطاولة على نزوله ، وكثرة المعادين والحاقدين والخصوم المتربصين به وبأهله ، ومع ذلك لم تنله يد التغيير والتبديل ، وما حصل من محاولات التحريف باءت جميعها بالفشل . فهو محفوظ على مستوى الحرف الواحد بل على مستوى حركة الحرف الواحد ، وإنك لتسمع القرآن اليوم يذاع من إذاعات العالم المختلفة ، فإذا هو القرآن المعروف الذي أنزل على محمدٍ ﷺ. وهذا كله تصديق لوعد الله سبحانه الذي تكفل بحفظه فقال سبحانه في آية واحدة قصيرة تعد آية في البلاغة والإيجاز والإعجاز وهي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] . فانظر إلى عدد التأكيدات على حفظ القرآن في الآية ، الأول: " نحن " وهو ضمير متكلم بارز منفصل للجمع يعود إلى الله تعظيماً ، وفي الاختصاص الذي يفيده إعادة الضمير المنفصل توكيد ، أي أن الله تعالى نفسه هو الذي يختص بحفظ كتابه ، والثاني: " نزَّلنا " فيها توكيدان الأول "نزَّل" بصيغة المبالغة التي تفيد تكرير نزول القرآن إشارة إلى تنزله مفرقاً وصيغ المبالغة فيها توكيد ، وهو يختلف عن " أنزل" فلا تفيد التكرير وهو مستخدم يفيد نزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا كما قال ابن عباس ، الثالث: المراد بالذكر" القرآن وهو المقصود بالحفظ ، وفي وصفه بالذكر هنا توكيد على حفظه من النسيان ، والرابع : لام التوكيد في " لحافظون " وهي اللام المزحلقة التي تأتي أصلاً مع المبتدأ وإنما زحلقت إلى الخبر ، لأن الجملة الإسمية لا تبتدأ بمؤكدين وقد تصدرت بإن الناصبة التي تفيد التوكيد، والخامس : إخباره بالجملة الإسمية التي تفيد الثبات والدوام ، ففي الآية خمسة مؤكدات فأين سيأتي المحرفون والمبدلون ، وفي تحقق هذا الوعد بحفظ القرآن طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان ، مع كثرة الخصوم في كل عصر ومصر وحنقهم وحقدهم على القرآن وعلى الإسلام وغيضهم منه حتى من المنتسبين إليه أكبر دليل على إعجاز القرآن وصدق إنبائه . ..... والحمد لله رب العالمين

أهم المراجع الشرعية والعلمية

١. القرآن الكريم .

٢. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار النشر : دار هجر. تحقيق : د /عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي

٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ .

٥. التعريفات ، على بن محمد بن علي الجرجاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ، تحقيق : إبراهيم الأبياري .

٦. تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل

٧. تفسير القرآن العطيم ، للإمام / أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ، دار المعرفة بيروت لبنان .

٨. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى

٩. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، تأليف: الفيروز آبادي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان

١٠. تهذيب اللغة ، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب

١١. التوقيت على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، المولود سنة ٩٥٢هـ والمتوفى سنة ١٠٣١هـ ، الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت ، دمشق ، سنة النشر ١٤١٠هـ ، الطبعة الأولى ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية .

١٢. إعجاز القرآن للباقلاني مكتبة الإرشاد . صنعاء طبعة الثانية ١٩٩٦م

١٣. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم. دار المعارف القاهرة ، ١٤٠٨هـ ،الأولى ، تحقيق : السيد أحمد صقر .

١٤. إعجاز القرآن، تأليف: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، دار النشر: دار المعارف - مصر - ١٩٩٧م، الطبعة: الخامسة، تحقيق: السيد أحمد صقر

١٥. علم الإيمان الشيخ الزنداني مركز البحوث الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

١٦. بحوث مؤتمرات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .

١٧. أعداد من مجلات الإعجاز العلمي الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي ، بمكة المكرمة .